﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨﴾

[الأنبياء:48]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إرسـالُ الـرُّسـلِ من البشرِ عادَةُ الله في أنْبيائِه

لَمّا ذَكَرَ ما أتى به رَسولُهُ ﷺ مِنَ الذِّكْرِ وحالَ مُشْرِكي العرب معَهُ، وقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾ أتْبَعَهُ بأنَّ ذلك عادَةُ الله في أنْبيائِه، فذَكَرَ ما آتى موسى وهارونَ إشارَةً إلى قِصَّتِهما مع قومِهما مع ما أُوتوا مِنَ الفُرْقانِ والضّياءِ والذِّكْرِ فقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[1].

فـصّـلَ بـعْـدَ إجـمـالِ تسليةً لِلْقلبِ الشّريف للنّبيّ ﷺ

لَمّا تَكَلَّمَ في دلائِلِ التَّوحيدِ والنُّبوَّةِ والمَعادِ شَرَعَ في قَصصِ الأنْبياءِ عليهم السلام؛ تَسْلِيَةً لِلرَّسولِ عليه الصّلاة والسَّلامُ فيما يَنالُهُ مِن قَوْمِهِ، وتَقْوِيَةً لِقَلْبِه على أداءِ الرِّسالَةِ، والصَّبْرِ على كُلِّ عارِضٍ دونَها، وذَكَرَ ههنا منها قصَصًا: أوَّلُها قِصَّةُ موسى وهارون عليهما السلام فقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[2]، أي: بعد أنْ أجْمَلَ سبحانَه حالَ الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ [الأنبياء: 7] إلى قَوْلِه تَعالى: ﴿وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩﴾ [الأنبياء: 9] أتْبَعَهُ بنوعِ تَفْصيلٍ فقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾: (فرق) أصلٌ يدلُّ على تمييزٍ وتزييلٍ بين شيئين، والفَرْقُ: تَفْريقٌ بَين الشَّيْئَيْنِ حتَّى ينفرق، والفُرْقانُ: كِتابُ الله تَعالَى فرَقَ بِه بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ[4]، وكُلُّ ما فُرِقَ بِه بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 150، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 436، والخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 9/ 909.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 150، والصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1202.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 71.

(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (فرق).

فهو فُرْقان، والفُرقانُ: الحجّةُ، والبرهانُ، والنّصر[1]، ومعنى ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ في الآية: الكتابُ الذي يفرّقُ بين الحقّ والباطل، وهو التّوراةُ في قول بعضهم، أو الحقّ آتاه اللّه موسى وهارون فرّق بينهما وبين فرعون، وقضى بينهم بالحقّ[2]، أو البرهانُ الذين فرَّق به بين حقّه وباطل فرعون، أو النّصر الذي أوتي موسى[3].

2) ﴿وَضِيَآءً﴾: (ضوأ) أصْلٌ يَدُلُّ على نورٍ، والضَّوْءُ والضُّوءُ بفتح الضّاد أو ضمها بِمَعْنًى واحدٍ وهو الضّياءُ والنّورُ[4]، وضَوَّأتُ عنه حتى وضَحَ، أي: بَيَّنْتُ عنه حتى أضاءَ، والضّياءُ ما أضاءَ لَك[5]، والضَّوْءُ: ما انتشر من الأجسام النّيّرة، وسَمَّى اللّهُ سبحانه كُتُبَهُ المنزّلَة ضياءً من حيثُ إنّها تنيرُ وتُبصرُ منِ اهتدى بها[6]، ومعنى ﴿وَضِيَآءً﴾ هنا: التّوراة استضاؤوا بها حتى اهتدَوا في دينهم[7]، أو المعنى وضياءً يُستضاءُ به في ظلماتِ الحيرة والجهالة[8]، ونورًا يهدي النّاس إلى مسالكِ حياتهم دون عَطَب[9]، وهو مَجازٌ في الهدى والعلم[10].

3) ﴿وَذِكْرًا﴾: ذَكَرْتُ الشّيءَ: خِلافُ نَسيتُهُ، ثم حُملَ عليه الذِّكْرُ باللّسان، ويقولون: اجْعَلْهُ منكَ على ذُكْرٍ - بضمّ الذّال - أي لا تَنْسَهُ[11]، والذِّكْرُ: الحِفْظُ للشّيءِ تَذْكُرُه، وجَرْيُ الشّيءِ على لسانكَ[12]، والذِّكْرُ: تارةً يقال ويراد به هيئةٌ للنّفس بها يمكنُ للإنسانِ أنْ يحفظَ ما يقتنيه منَ المعرفة، وهو كالحفظ إلّا أنّ الحفظَ يُقال اعتبارًا بإحرازه، والذِّكْرُ يقال اعتبارًا باستحضاره، وتارةً يُقال لحضورِ الشّيء القلبَ أو القولَ[13]، وكثيرٌ من صيغ التّذكير والتّذكُّر تصلح لما هو ضدّ النّسيان ولمعنى الوعظ وهو منه؛ لأنّه إذا

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبِيدِيّ، تاج العروس: (فرق).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 452 - 453.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 98.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضوأ).
(5) الخليل، العين: (ضوأ).
(6) الرّاغب، المفردات: (ضوأ)، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 2/ 389.
(7) الواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 99.
(8) البَيْضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 53.
(9) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 15/ 9563.
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 89.
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذكر).
(12) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبِيدِيّ، تاج العروس: (ذكر).
(13) الرّاغب، المفردات: (ذكر).

تذكّر قد يَزْدَجِر[1]، ومعنى ﴿وَذِكۡرٗا﴾ هنا: أي تذكيرًا لمن اتَّقى الله بطاعته وأداءِ فرائضه واجتناب معاصيه، ذَكَّرهم بما آتى موسى وهارون من التّوراة[2]، الّذي فيه ذِكْرٌ للمتّقين كي يذكروه ويعملوا بما فيه ويتّعظوا بمواعظه[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

شـروعٌ في ذكرِ قَصصِ الأنبياءِ تسليةً للنّبي ﷺ بـإقـامـةِ الـحـجّـةِ على أعدائه

المعنى الإجماليُّ في البيان الإلهيّ: ولقد آتَينا موسى وهارونَ ما يُفرَقُ به بينَ الحَقِّ والباطِلِ، وآتَيناهما التّوراةَ مُضيئةً طريقَ الحَقِّ لهما ولمن اتّبعهما في أمرِ دينهم، وتذكيرًا لمنِ اتّقى الله بطاعته وأداءِ فرائضه واجتنابِ معاصيه[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في قوله ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا﴾:

تسليَةٌ للنَّبي ﷺ عـلـى مـا يُلاقيه من قومِهِ

عَطَفَ البيانُ القرآنيُّ جملةَ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ على جُملَةِ ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾ [الأنبياء:5] إلى قوله: ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٥﴾ [الأنبياء:5]؛ لإقامَةِ الحُجَّةِ على المشركينَ بالدَّلائلِ العقليَّةِ والإقناعيَّةِ والزَّجْريَّةِ، ثمّ بدلائلِ شواهدِ التّاريخ وأحْوالِ الأُمم السّابقةِ الشّاهدةِ بتنْظيرِ ما أوتيَهُ النَّبيُّ ﷺ بما أوتيَهُ سَلَفُهُ منَ الرُّسُلِ والأنْبياء، وأنَّهُ ما كانَ بِدْعًا من الرُّسُلِ في دعْوته إلى التَّوْحيد، تلك الدَّعْوةُ الَّتي كذَّبَهُ المشركونَ لأجلها مع ما تَخَلَّلَ ذلك من ذِكْرِ عِنادِ الأقْوام، وثَباتِ الأقْدام، والتَّأْييدِ منَ المَلِكِ العَلّام، وفي ذلك تَسْلِيَةٌ لِلنَّبي ﷺ على ما يُلاقيه من قَوْمِه بأنَّ تلك سُنَّةُ الرُّسُلِ السّابقينَ كما قال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ﴾ [الإسراء:77][5].

---

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذكر).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 453.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 99.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 453.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 87 - 88.

ويمكن أنْ تكون الواو استئنافيةً، والجملةُ مستأنفةً مسوقةً للشروعِ في قصصِ الأنبياءِ عليهمُ الصّلاة والسَّلام؛ تسليةً لرسولِه ﷺ فيما يكابده من قومه، وتقويةً لقلبِه، وحَفْزًا لاستدامته في تأديةِ الرّسالة[1].

بلاغة التّصدير بالتّوكيد القَسَميّ (لام القسم، وقد):

كمالُ الاعتناءِ بتَنْظيرِ ما أوتيَهُ النَّبيُّ ﷺ بِما أوتيَهُ سَلَفُهُ مِنَ الرُّسُلِ

صَدَّر القرآنُ الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ بالتّوكيد القَسَميِّ، أي: بـ(لام القسم) الّتي تفيد التّوكيد وبـ (قد) الّتي تفيد التّحقيق؛ لتَنزيل المشركينَ في جَهْلِ بعضهم بذلك، وذُهولِ بعضهم عنه، وتناسي بعضِهم إيّاهُ مَنزلَةَ مَنْ يُنْكِرُ تلك القِصَّةَ، والغرضُ من هذا التّأكيد هو إظْهارُ كَمالِ الاعْتِناءِ بِمَضْمونِه[2]، بِتَنْظيرِ ما أوتيَهُ النَّبيُّ ﷺ بِما أوتيَهُ سَلَفُهُ مِنَ الرُّسُلِ والأنْبياءِ، وأنَّهُ ما كانَ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ؛ إقامَةً للحجّة على المشركينَ بِدَلائِلِ شواهِدِ التّاريخِ وأحْوالِ الأُمَمِ السّابقة[3].

علّة إيثار لفظ ﴿ءَاتَيْنَا﴾ دون (أنزلنا أو أعطينا):

الإيتاءُ عمومٌ في العطاء وقوّةٌ وثباتٌ وقرارٌ للمؤتَى

آثرَ البيانُ القرآنيُّ لفظ ﴿ءَاتَيْنَا﴾ دون (أنزلنا) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ فلم يقل: (وأنزلنا الفرقان)؛ للإشارةِ إلى أنّ المقصودَ ليسَ خصوصَ التّوراةِ التي أنزلها اللّهُ على موسى، وإنّما المقصودُ هو عمومُ ما آتاهُ اللّه لموسى منَ الفرقانِ الّذي يشملُ كلّ فارقٍ بين أمرين، فآتاه اللّهُ تعالى انْفِلاقَ البحرِ بعصاه، وإخراجَ بني إسرائيل من الذّلّ والهوانِ إلى العزّة والقوّة، وغيرها من المعجزات الواضحة الفارقة[4]، ولو كان التّعبير بلفظ الإنزال لما تضمّن المعانيَ الّتي يتضمّنُها الإيتاء.

كما آثرَ البيانُ القرآنيُّ لفظ ﴿ءَاتَيْنَا﴾ دون (أعطينا)؛ لكونِ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 325.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 71.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 88.
(4) أبو زَهرة، زَهرة التّفاسير: 9/ 4878.

الإيتاء أنسبَ للمقامِ الّذي هو مقام النّبوّة – وهو مقامُ قوّةٍ – ؛ إذِ الإيتاءُ أقوى منَ الإعطاءِ؛ لأنّ الإعطاءَ له مطاوِعٌ، والفعلُ الّذي له مطاوِعٌ أضعفُ في إثباتِ مفعوله من الّذي لا مطاوِعَ له[1]، لذلك استعملَ القرآنُ الإيتاءَ دون الإعطاءِ للأشياءِ العظيمة ذات الثّباتِ والقرارِ مثل (الملك والحكمة والسّبع المثاني والقرآن العظيم)[2]، ولكونه كذلك أنسبَ للسّياق الّذي تضمّن ذِكْرَ (الفرقان، والضّياء، والذّكر) وهي عطاءاتٌ مادّيّةٌ ومعنويّةٌ لم يتملّكْها موسى، ولا تتوقّف على قَبوله، وهذا هو معنى الإيتاء في اللّغة، بخلاف الإعطاءِ الذي يكونُ في الأشياءِ المادّيّة؛ إذْ أصلُهُ التّناول، وفيه دليلٌ على التّملّك[3].

سِرُّ إضافةِ الفعل ﴿ءَاتَيْنَا﴾ إلى ضمير التّعظيم:

تَنْبيهٌ على جَلالَةِ المـؤتَى، وحُـجَّـةٌ على مَنْ يكفرون بنظيره

أخْبرَ البيانُ الإلهيُّ عن الفُرْقانِ بإسنادِ إتْيانه إلى ضميرِ الجلالةِ والتّعظيم (نا) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾؛ للتّنبيه على أنّ الفرقانِ الّذي أوتيَه موسى وهارون عليهما السلام؛ ليس إلّا وحيًا من الله تعالى كما أُوتيَ مُحَمَّدٌ ﷺ القرآنَ الّذي هو مثلُه وحيًا من الله تعالى، فكَيْفَ يُنْكِرونَ إيتاءَ القُرْآنِ وهم يَعْلَمونَ أنَّ موسى وهارون قد أُوتيا مثلَه؟! وفيه تنبيهٌ كذلك على جلالةِ ذلك المُؤتَى[4]، وتعظيمُ المؤتي سبحانه، وتربيةُ المهابة تُجاهَهُ.

نكتةُ البَدْءِ بقصّةِ موسى وهارون وتقديمِها على قصّةِ إبراهيم عليه السلام:

في سياقِ تَنْظيرِ ما أوتيَهُ النَّبي ﷺ بِما أوتيَهُ الـرُّسُـلُ تقديمٌ لِمَنْ كتابُه موجودٌ يعرفهُ العرب

ابتدأ البيانُ القرآنيُّ بذِكْرِ موسى وأخيه هارونَ مع قومِهما، وقدّم قصّتَهما على قصّة إبراهيم عليه السلام مَعَ أنّه جَدُّهما الأعلى، وذلك لأنّ موسى صاحبُ شريعةٍ دُوِّنَتْ في كتابٍ موجودٍ عندَ أهلِه يعرفُه العرب، وأُخِذَ به حتّى في النّصرانيّة الّتي جاءتْ مِنْ بعدِه، ولأنَّ

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 4/ 85.
(2) الزَّبِيدِيّ، تاج العروس: (أتى)، والكَفَوِيّ، الكلّيّات، ص: 212.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 86.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 89.

إتيانَ موسى بالشَّريعَةِ أوسعُ أثَرًا لإقامةِ نظامِ أُمَّةٍ يلي عَظَمَةَ شَريعَةِ الإسْلامِ[1]، ولأنّه مِنْ أكثرِ الرُّسلِ الّذين تَعِبوا في دعوتِهم، فقد تَعِبَ موسى مع المؤمنين به فضلاً عنِ الكافرين به[2]، ولِأنَّ القرآنَ ليس كتابَ تاريخٍ حتى تُرَتَّبَ أخبارُه ترتيبًا زمنيًا، كترتيبِ كتب التّاريخ، وإنَّما يُذكَرُ مِنْ قَصصه مواضعُ العِبرة ومواطنُ الموعظة[3]، مراعيًا السّياق الواردَ فيه.

نكتةُ الجمعِ بين موسى وهارون عليهما السلام وتقديمِ موسى في الذِّكْرِ:

إيماءٌ بعظمةِ رسالةِ موسى وهارون وعظمةِ رسالةِ النبيّ ﷺ

جمَعَ القرآنُ بينَ موسى وهارونَ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ في إيتائهما الفرقان والضّياء والذِّكر؛ لأنّهما المكلَّفَين بتبليغِ الرّسالة، فرسالتُهما واحدة، وهم فيها شركاءُ ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص:34][4]، وللإيماءِ بعَظَمَةِ هذه الرِّسالة؛ إذْ أُرْسِلَ بها رسولانِ، وعَظَمَةِ رسالةِ النّبيِّ ﷺ في سياقِ التَّنْظيرِ بينهما، ولكنّه قدّم موسى في الذِّكْر؛ لأنّه كُلِّفَ بالنُّبوّة قبل هارون، وهو مِنْ أُولي العزم مِنَ الرّسلِ، وهو مَنْ أُوتيَ هذا الكتابَ، ولأنّ هارونَ وزيرٌ له من أهله، بحسب قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠﴾ [طه:29 - 30].

إيثار لفظ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ على (الكتاب)، و(التوراة):

أوسعُ دلالةً وأبلغُ في بيانِ المقصود

آثرَ النصُّ القرآنيُّ لفظَ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ على (الكتاب) و(التّوراة)؛ لاتّساعِ دلالته؛ إذِ الفُرقانُ هو ما يُفَرَّقُ به بين الحَقِّ والباطِلِ مِن كلامٍ أو فِعْلٍ[5]، وهو بذلك يشملُ الاسمَ والمسمّى؛ فيشمل التّوراةَ وما احتوتْهُ من أحكامٍ وحِكمٍ فرّقتْ بينَ الحقِّ والباطلِ، وبين قومٍ ليس

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 88.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 15/ 9559.
(3) أبو زَهرة، زَهرة التّفاسير: 9/ 4878.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 15/ 9559.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 89.

لهم سلطانٌ وقانونٌ يحكمهم في ماضيهم، وإنْ صاروا من بعدها لهم قانون يحكمهم وسلطانهم من أنفسهم، كما قال تعالى مُنْعِمًا عليهم: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: 20] ويشمل كذلك نجاةَ بني إسرائيل في البحر؛ إذ فرَقَ اللّهُ البحرَ ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشّعراء: 63][1]، والنَّصْرُ الَّذي أوتيَه موسى عليه السلام كقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال:41]، وكذلك بقيّة المُعْجِزات الفارقة بين المُعجزةِ والسِّحْرِ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ [غافر:23]، ويشمل الشَّريعَة الفارِقَة بين العَدْلِ والجَوْرِ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:53][2]؛ لكونِ الفرقانِ مصدرًا يدلُّ على المبالغة، تقول: فرَّق تفريقًا وفرقانًا، فزيادةُ الألف والنّون تدلُّ على زيادةٍ في المعنى، ولذا فالفرقانُ لا تُستعمل إلا للأمورِ الجليلةِ العظيمة، وبذلك ناسبَ أنْ تُستعمل في الحديث عن موسى عليه السلام وقصّته[3].

سِرُّ عطف (الضّياء) و(الذِّكر) على ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾:

تَغايُرُ الصِّفات بمنزلةِ تغايرِ الذَّواتِ

دخلَتْ الواوُ في قوله: ﴿وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾ على الصفة؛ كما تقول: مررتُ بزيدٍ الكريم والعاقل، فعلى هذا يكون حالاً، أي: الفرقان مضيئًا، أو: هي عاطفة، أي: آتيناه ثلاثةَ أشياءَ: الفرقان والضّياء والذِّكْر[4]، وعند البصريّين أنّ الواو لا تُزاد، ولا تأتي إلا بمعنى العطف، وهذا كلّه من نعوتِ التوراة: الفرقان والضّياء والذِّكر، فعُطِفُ بعضها على بعض[5]؛ بتنزيلِ تغايرِ الصِّفاتِ منزلةَ تغايرِ الذَّواتِ، فلا يلزمُ عطفَ الشَّيءِ على نفسه[6]، والمعنى: لقدْ آتَيْناهُما

(1) أبو زَهرة، زَهرة التّفاسير: 9/ 4878.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 89.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 15/ 9562.
(4) زكريا الانصاري، إعراب القرآن العظيم، ص: 395.
(5) الزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 394.
(6) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 533.

وحْيًا مضيئًا ساطِعًا يُعينُ على التّفريق بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ، وكِتابًا واعظًا مُذكِّرًا يَتَّعِظُ به النّاسُ[1]، أو يكون الفرقانُ هو التّوراة، والتّقدير: (آتيناهما التّوراة وآتينا بها ضياءً وذِكْرًا لِلْمُتَّقينَ)، أي هي في نَفْسِها ضياءٌ وذِكرٌ، أو (وآتيناهما ضياءً وذكرًا بما فيه من الشرائعِ والمواعظِ)[2].

نُكتةُ تَعريفِ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ وتَنْكيرِ ﴿وَضِيَآءً﴾ و﴿وَذِكْرًا﴾:

الفرقانُ معهودٌ والضّياءُ والذِّكْرُ عامّانِ فخْمانِ

جَعَلَ النَّصُّ القرآنيُّ لفظ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ مُعَرَّفًا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾؛ للإشارة إلى أنّ الفرقان في الآية أمرٌ معهودٌ عند اليهودِ وعند العربِ، سواءٌ أكان المرادُ منه التوراة، أم نجاةُ بني إسرائيل في البَحر؛ أو بقيّةُ المُعْجِزات الفارقة بَيْنَ المُعْجِزَةِ والسِّحْرِ، ولذا عرّفها بـ(أل) العهديّة، وأمّا تنكيرُ لَفْظَي ﴿وَضِيَآءً﴾ و﴿وَذِكْرًا﴾ فلإفادَة التّفخيمِ والعموم؛ فالضّياءُ هو كلُّ ما يُستضاءُ به، فالضّياءُ يكشفُ ظلمات القلبِ والعقيدة، وظلماتِ الضّلالِ والباطل، وهي ظلماتٌ يَتوهُ فيها العَقْلُ ويَضِلُّ فيها الضَّمير، والذِّكرُ يشملُ الموعظةَ والتّذْكيرَ بكلِّ ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم، وكذلك الشّرف[3].

إيثار لفظ الضّياء على النّور:

مبالغةٌ تؤكّد وضوحَ ما جاء به موسى عليه السلام

آثر البيانُ القرآنيُّ استعمالَ لفظ ﴿وَضِيَآءً﴾ على لفظ (نورًا) في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾؛ لأنَ في الضَّوءِ مُبالَغَةً[4]؛ إذ الضّياءُ أقوى وأعظمُ من النُّور، ويدلّ على ذلك قوله تَعالَى: ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس:5][5]، والغرضُ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 71، بتصرّفٍ بسيط.
(2) الزَّمَخْشَرِيّ، الكشّاف: 3/ 121.
(3) الزَّمَخْشَرِيّ، الكشّاف: 3/ 121.
(4) الزَّبِيدِيّ، تاج العروس: (ضوأ)، والقونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 533.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط في التّفسير: 6/ 14.

من هذه المبالغةِ الدّلالةُ على وضوحِ ما جاء به موسى من التّوراةِ وحُسنِه، ومن ثَمّ التّأكيدُ على تحقّقِ القصدِ من تَنْظيرِ ما أوتي النَّبيُّ ﷺ من ذِكْرٍ مباركٍ في أسلوبِه ومضمونه بِما أوتيَ موسى وهارون عليهما السلام من توراةٍ تُضيءُ طَريقَ الحَقِّ لمن آمنَ بها.

بلاغة الاستعارة التّصريحيّة في لفظ الضّياء:

تشبيهُ التوراة بالضّياءِ بيانٌ لأثرِها في الهدايةِ والخيرِ

في لفظ ﴿وَضِيَآءً﴾ في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾ استعارةٌ تصريحيّة متضمَّنة؛ إذ شبَّهَ التوراةَ بالضّياء، فطوى المشبَّه (التّوراة) وأبقى المشبَّه به (الضّياء)[1]، وهي متضمَّنةٌ لتشبيه الحيرةِ والجهلِ بالظّلمة[2]، وفي هذه الاستعارةِ بيانٌ لأثرِ التّوراةِ في الهدايةِ والخيرِ، ولأثرِ الجهلِ والحيرةِ في الضّلال.

بلاغة المجاز في لفظ الضّياء:

التّوراةُ ضياءٌ لا ظلامَ معه ولا ظُلْمَ للمستبصرِ بهدايتها

الضّياءُ: النّورُ، يُستعمَلُ مجازًا في الهُدى والعِلْم، "لأنَّ مِنْ شأنِ مَنْ كان في الضّياء ألّا يضع شيئًا إلا في موضعه"[3]، وهو استعمالٌ كَثيرٌ، وهو وجهٌ للمُرادُ هنا ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾، وقد قال تعالى في موضعٍ آخرَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:44][4]، أي: التّوراة ضياءٌ لا ظلامَ معه، ولا ظُلْمَ للمستبصرِ بهدايتها.

معنى اللام في قوله ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

الذِّكرُ خاصٌّ بالمُتّقين لانتفاعهم به دون غيرهم

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ تحتملُ أن تكونَ لامَ الاختصاص، أي: التّذكيرُ والوعظ خاصٌّ للمتّقين الّذين ينتفعون به، وتَخْصيصُ المُتَّقينَ بِالذِّكْرِ - وإنْ كان عامًّا للجميع - ؛ لانتفاعهم به دون غيرهم[5]، أي: إنَّ الّذين تستشعرُ قلوبُهم خشيةَ اللّه ولم يَرَوه،

(1) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 533.
(2) الشّهاب الخَفاجيّ، عنايه القاضي وكفاية الراضي: 6/ 257.
(3) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 431.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 89.
(5) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 12/ 533.

ويعملون للسّاعةِ ويستعدّون لها هم الّذين ينتفعون بالضّياء، ويسيرون على هداه، فهم المُستضيئونَ بأنوارِه المُغتنِمونَ لمغانِم آثارِه، أو أن يكون الذِّكْر بمعنى البيان، أي: بيانُ ما يحتاجونَ إليه منَ الشَّرائعِ والأحْكام، فيكون التّخصيص بالمتّقين؛ لأنّهم المؤمنون به دون غيرهم[1]، أو أنْ تكونَ اللّامُ لامَ التَّقْوِيَة، فيكونَ المجرور باللّام في معنى المَفْعول، أي: الَّذين اتَّصفوا بتقوى الله؛ بامتثالِ أوامرِه واجتنابِ نَواهيه؛ لأنَّهُ يُذَكِّرُهم بما يَجْهلونَ وبما يَذْهَلونَ عنه ممّا عَلموهُ ويُجَدِّدُ في نُفوسِهم مُراقبةَ ربِّهم، أو أنْ تكونَ اللّامُ لامَ العِلَّة؛ أيْ ذِكْرٌ لِأجْلِ المُتَّقينَ، أي: كتابٌ يَنْتَفِعُ بما فيه المُتَّقونَ دون غيرِهم مِنَ الضّالّينَ[2].

نكتة إيثار وصفِهم بالمتّقين:

التّقوى هي الغايةُ العُظمى من الموعظةِ والذِّكر

وصفَ القرآنُ المنْتَفعين بالذّكر في قوله تعالى: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ بالمتّقين دون غيره من الأوصاف؛ للإشارةِ إلى امتلاءِ قلوبهم بالتّقوى ومخافةِ الله ﷻ[3]، أي: الَّذين صارَ وصف التّقوى لَهم شِعارًا يُعرَفون به، وحامِلًا لَهم على التَّذْكيرِ لِما يَدْعو إلَيْه الكِتابُ مِنَ التَّوْحيدِ الَّذي هو أصْلُ المُراقَبَة[4]، ولأنّ التّقوى هي من أعلى ثمراتِ الانتفاعِ بالموعظةِ والذِّكر.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الضّياء والنوّر:

الضّياءُ أقوى وأعظمُ من النّور، ولذا شَبَّهَ الله هُداه بالنّورِ دون الضَّوْءِ وإلا لَما ضَلَّ أحدٌ، ويدلّ عليه قولُه تَعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس:5][5]، وهو أخصّ من النّور؛ إذ الضَّوءُ

الضّياءُ أقوى وأعظمُ وأبلغُ وأخصُّ من النّور فالضّياءُ ما كان من ذاتِ الشّيءِ المضيء، والنّورُ ما كان مستفادًا من غيره

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 71.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 89.
(3) أبو زَهرة، زَهرة التّفاسير: 9/ 4879.
(4) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 431.
(5) الزَّمَخْشَرِيّ، الكشّاف: 2/ 329، وأبو حيّان، البحر المحيط في التّفسير: 6/ 14.

نورٌ قويٌّ[1]، والضّوءُ أبلَغُ بِحَسبِ الاِسْتِعْمال، والضّوء لِما هو قائمٌ بِالذّاتِ كالشَّمسِ والنّار، والنّورُ لِما هو قائمٌ بالعَرَضِ والاكتسابِ من الغَيْر[2]، والضّوءُ فرْعُ النّور، وهو الشُّعاع المُنتشِر، و"النّور: هو الضّياء المُتَشَعْشِعُ الَّذي تَنْفُذُهُ أنوارُ الأبْصار فتصل به إلَى نظرِ المُبْصَرات، وهو يتزايدُ بتزايدِ أسبابه"[3]، والضّوءُ ما كان من ذاتِ الشّيءِ المضيءِ، والنُّورُ: ما كان مستفادًا من غيره[4]، والضّياءُ فيه نورٌ وفيه حرارةٌ، والنّورُ فيه ضَوءٌ وليس فيه حرارة[5]، ولقوّة الضّياءِ ودلالةِ المبالغةِ فيه على وضوحِ ما جاء به موسى من التّوراةِ وحُسنِه أوثِرَ استعمالُه ههنا تعريضًا بمَنْ جحدَه وأنكره على وضوحه، وها هنا أمرٌ جديرٌ بالملاحظة وهو أنّه لا ينبغي تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النّور: 35] على أنَّ اللّه استفاد النّور من غيره، بل التفسير الصحيح أنه تعالى منوّر السموات والأرض، فهو الذي يَشُعُّ النّورُ والضّياءُ منه ﷻ، ولم يكتسب نوره من غيره، بل كان من ذاتِه جلّ وعزّ.

(1) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 4/ 231.
(2) الزَّبِيدِيّ، تاج العروس: (ضوأ).
(3) ابن الجوزيّ، نُزْهَةُ الأَعْيُنِ النّواظِر، ص: 599.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 311.
(5) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 8/ 5071.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»